

المحاضرة ٢٣ ظروفات فكرية معاصرة/ العولمة

لقد ظهر نشر مصطلح العولمة "Globalization" في أدبيات العلوم الاجتماعية بمادة تحليلية لوصف عملية التغيير في مجالات مختلفة، فالعولمة عملية مستمرة يمكن ملاحظتها بأستخدام مؤشرات كمية وكيفية في مجالات السياسة والاقتصاد والثقافة والاتصال، ويمكن القول ان صياغة تعريف دقيق للعولمة، تبدو مسألة شاقة نظراً الى تعدد تعريفاتها و التي تتأثر أساساً بإنجازات الباحثين الايدولوجية واتجاهاتهم أزاء العولمة رفضاً وقبولاً.

أما فيما يتعلق بالمفهوم اللغوي للعولمة فإنه مصطلح اول ما ظهر تحت كلمة "Globalization" في الولايات المتحدة الامريكية ثم ترجم الى الفرنسية تحت كلمة "Mondalization" وترجم الى العربية تحت ثلاثة مصطلحات هي (الكونية، الكوكبية، والعولمة) اما في اللغة العربية فليس لها وجود في المعجم العربي وأصلها الصحيح هولفظة (العالمية) المشتقة من اسم العالم الذي هو على وزن فاعل وجمع العالم المراد به الخلق العوالم وهو ما اتفق عليه في اللسان العربي.

وهناك من يرى في إصطلاح العولمة منها تعني جعل الشيء على مستوى عالمي اي نقله من المحدود الى اللامحدود واللامراقب وهو أساساً الدولة القومية التي تتميز بحدودها الجغرافية وبمراقبة صارمة على مستوى الكمارك ونقل البضائع والسلع وحماية ما بداخلها من اي خطر وتدخل خارجي أما اللامحدود فالمقصود به العالم ،فالعولمة تتضمن معنى الغاء الحدود للدولة القومية في المجال الاقتصادي والمالي والتجاري وترك الامور تتحرك في هذا المجال عبر العالم او داخل القضاء الذي يشمل الكرة الارضية بأجمعها أما على صعيد التعريف فمن الطبيعي ان تختلف التعاريف لمفهوم العولمة باختلاف أبعادها وتجلياتها ومؤشراتها على أرض الواقع ويتضح لنا من خلال ذلك الى وجود اربع مجموعات كبرى من التعاريف وهي:-

(أ) وهي المجموعة التي تركز على البعد الاقتصادي للعولمة وهذا البعد يحتوي على مؤشرات واتجاهات ومؤسسات اقتصادية عالمية جديدة غير معهودة في السابق وتشكل في مجملها العولمة الاقتصادية.

أما الاستاذ (عمرو محي الدين) ذهب الى ان العولمة في الادبيات الغربية تعرف بأنها زيادة درجة الارتباط المتبادل بين المجتمعات الانسانية من خلال عمليات انتقال السلع ورؤوس الاموال وتقنيات الانتاج والاشخاص والمعلومات

ب) مجموعة تركز على البعد الثقافي الذي يشير الى بروز الثقافة كسلعة عالمية تسوق كأي سلعة تجارية أخرى ومن ثم بروز وعي وأدراك ومفاهيم وقناعات ورموز ووسائط ووسائل ثقافية عالمية الطبع.

ومن بين هذه التعاريف "ان العولمة تصميم قسري لنموذج معاد للتنمية والتنوع الثقافي في التمايز الشخصية الثقافية ويروج عن طريق وسائل الاعلام لقيادة قوانين السوق وقيم المجتمع الليبرالي الرأسمالي وفرض دكتاتورية الكلام الوحيد والصورة الوحيدة والنمط الوحيد في الحياة ويحول الانسان الى مجرد مستهلك ومشاهد متلق يتم تصنيفه وترويضه جماعياً على مستوى الكرة الارضية وفق النموذج الامريكي والغربي".

ج) مجموعة تركز على البعد الفكري السياسي الذي يشير الى قضايا عالمية جديدة مرتبطة اشد الارتباط بالحالة الاحادية السائدة حالياً.

ومن بين تلك التعاريف حيث يعرفها البعض بأنها (زيادة الترابط والالتحام بين الاجزاء المكونة للكوكب، من النواحي السياسية و الاقتصادية والثقافية بصورة لم تشهدا البشرية من قبل وأصبح اتخاذ قرار سياسي في بلد ما يمكن ان يؤثر على حياة ملايين من البشرية في أماكن بعيدة).

ويعرفها الدكتور اسماعيل صبري عبد الله: (هي التداخل الواضح لأمر الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة والسلوك دون اعتداد يذكر بالحدود السياسية للدول ذات السيادة والانتماء الى الوطن ودون الحاجة الى إجراءات حكومية).

د- مجموعة تركز على البعد الاجتماعي الذي يلاحظ بروز المجتمع المدني العالمي وبروز قضايا انسانية مشتركة تشكل في مجملها العولمة الاجتماعية، وهناك من عرف العولمة بأنها عملية تصور في الغالب كقوة ايجابية تعمل على توحيد المجتمعات المختلفة وتحقق تكاملها في قرية كونية الكل يغتني في اطارها)،ومن بين تلك التعاريف ايضاً بأنها (فرض لتغيرات قاسية على المجتمعات المحلية بواسطة قوى جبارة من الاعلى)، وهناك من يقدم العولمة على انها أيولوجية لصالح الاخر على حساب الأنا اي الذات وقوة الاخر في مقابل ضعف الأنا وتوحيد الاخر في مقابل تفتيت الأنا، ويضيف وهي حضارة المركز وتبعية الاخر وهي مركزية دقيقة في الوعي الاوربي.

اما فيما يتعلق بالمفاهيم المقاربة للعولمة فقد تداخلت العولمة بعدد من المفاهيم منها العالمية، بوصفها فكرة يتسابق البشر الى الدعوة والوصول اليها على مدى التاريخ لادارة العالم مثل كيان واحد يضم جميع البشر على أساس عائلة واحدة وذلك بألغاء جميع الحدود والعالمية تمتد وتتسع متخطية العوائق والحواجز ليشمل العالم كل من دون تمييز وتفرقة بينما العولمة تفرض او تتم

البرمجة لفرضها من خلال العلم والابداع في مجالاته وتطبيقاته التي تتحكم بنتائجها رأس المال والقوى المهيمنة، فالعالمية هي مقولة من مقولات الحداثة بينما العولمة غير العالمية، فالعالمية تعترف بوجود الثقافات الاخرى و يمكن ان تتبادل فيما بينها او تعترف بالتعدد أما العولمة فهي تمثل الاختراق الثقافي وشيوع ثقافة واحدة، تعمل على طمس الثقافات والهويات الاخرى، كما ان العالمية طموح مشروع ورغبة في الاخذ والعطاء والحوار والارتقاء بالخصوص الى مستوى عالمي أما العولمة فهي ارادة لاختلاف الاخر وسلبه خصوصيته.

ويرى البعض ان العولمة في حقيقتها هي نوع من الامبريالية وقد تكون في الظاهر مرادفة العالمية في الظاهر بينما هي ضد العالمية أما الاخيرة تعني التفتح على العالم وعلى الثقافات الاخرى والاحتفاظ بالاختلاف لا بالخلاف الأيدلوجي والثقافي بين العولمة تعني نفي الاخر واحلال الاختراق الثقافي والايديولوجي محل الحوار والمنافسة والصراع الثقافي والأيديولوجي ... فالعولمة اذاً نظام يدفع الى التفنيت والتشتيت واسقاط الخصوصيات والغاء التعدد والتمايز وبالتالي لربط الناس بعالم اللاتون واللدولة ومن ثم إغراقهم في الحروب الاهلية العرقية والدينية .وهناك من يرى بأن العولمة هي (الامركة) لكن العولمة تعبر عن مجموعة من المتغيرات الفكرية والسياسة... الخ ساهمت في ازدياد ترابط شعوب العالم والامركة قولبة العالم وفقاً لنمط حياتها والباسها ثوب الامركة.

- النشأة التاريخية للعولمة

ان النشأة التاريخية للعولمة كانت وماتزال مثار جدل ما بين الباحثين، فمنهم من يصفها بظاهرة جديدة ظهرت في عقد التسعينات ومنهم من يرجعها الى القرون السابقة ويبدو وان مرد هذا الاختلاف راجع الى تداخل مصطلح العولمة بمصطلح العالمية.

فالذين أرجعوا الى القرون السابقة تحدثوا في حقيقة الامر عن العالمية وهذا واضح في طروحات الرواقيين في أثنينا حوالي القرن الثالث قبل الميلاد، الذين كانوا ينظرون الى العالم نظرة شاملة ومن هنا كانت دعوتهم لإقامة المدينة العالمية كما تأثر فلاسفة الرومان بهذه المبادئ ومنهم شيشرون.

إذن الرواقيون والرومانيون هم الذين أطلقوا فكرة وجود عالمية واحدة تظم جميع البشر، ثم تبلورت مع ازدهار القوميات في اوربا حيث أفكار بييرديبو (١٢٥٠ - ١٣٢٣) ودانتي عن الحكومة العالمية كذلك كانط في القرن الثامن عشر ورواد المدرسة الانكلوساكونية مثل ويليام بن (١٦٤٤ - ١٧١٨) وجيرمي بنتام (١٧٤٨ - ١٨١٤) وقد تم طرح فكرة المجتمع العالمي على اساس التفسير

المادي للتاريخ مع افكار ماركس (١٨١٨-١٨٨٣) الداعي الى ذبول وزوال الدولة القومية ولينين حيث التطلع لتحقيق الاشتراكية الاممية وبالمثل شهد الفكر الليبرالي طروحات للعالمية من اول أفكار ميل (١٨٥٨-١٩١٧) حتى بار سونز (١٩٠٢-١٩٧٩) حيث أهمية دور التحديث في خلق انسانية واحدة .

ولا ننسى الديانات السماوية فاليهودية حصرت ديانتها في نطاق اليهود أما المسيحية والديانة الاسلامية قد دعت الى النزعة العالمية.

وهناك من يرى ان العولمة ظاهرة جديدة ظهرت بعد انتهاء الحرب الباردة مؤشر لبداية عهد جديد فيقول (سيار الجميل):- "انها بداية مرحلة تاريخية جديدة انطلقت خلال الاعوام ١٩٨٩-١٩٩٨ من خلال الاخفاق التام المزوج لطموحات أنظمة وبلدان الشرق المسماة بالاشتراكية وبلدان الجنوب المسماة بالاستقلالية الوطنية مختمة عهد الحياد الايجابي الذي عاش ثلاثين عام للفترة (١٩٥٥-١٩٥٨) ويتوالد اليوم عهد جديد هو عهد السوق الذي يغدو محاولة جديدة على حساب انتهاء وانتفاء ظواهر وحالات ومضامين ومصطلحات ومفاهيم عدة مثل شرق وغرب، شمال وجنوب، العالم الثالث، الشيوعية، البلدان الاشتراكية، الحياد الايجابي وعدم الانحياز، وهناك من يرى بأن العولمة مصطلح جديد لمفهوم مخفي في التفكير سمي بالعولمة، واول من أطلقه الكندي مارشال ماك لوهان(*) والعولمة كما يراها سمير امين ثمرة من ثمرات الرأسمالية.

وهكذا بدت العولمة تطور مخطط له منذ أقدم الحقب التاريخية، أي ان لهذه العملية سياق تاريخي ولكن ما يميزها الان، كثافة المبادلات بين البلدان وسرعة انتشارها فضلاً عن انتشار الثورة العلمية و التكنولوجيا وتطورها.

ومن هنا تبين لنا ان العولمة مصطلح معاصر، ظهر في العقد الاخير من القرن العشرين، الا انه لايفصل عن سياقه التاريخي المتجسد بالتطلعات الاستعمارية الغربية.

من خلال ما تقدم لنا ان مفهوم العولمة مفهوم شامل ويمثل الجانب السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي فتسعى العولمة الى سوق عالمية واحدة و مبادئ وقيم وأفكار وثقافة واحدة الا وهي تحت سيطرة القوى الكبرى المتمثلة بالشركات المتعددة الجنسية وسيطرة الولايات الامريكية المتحدة يفرض نمط ثقافتها وقيمها، كما ان العولمة تتخذ من المفاهيم والافكار السياسية كذريعة للتدخل في شؤون الدول الداخلية كذريعة حقوق الاسنان والديمقراطية والارهاب... الخ.

(*) مارشال ماك لوهان :- استاذ الاعلاميات السوسيوولوجية في جامعة تورنتو عندما صاغ في نهاية عقد الستينات مفهوم "القرية الكونية" في كتابه "الحرب والسلام في القرية الكونية"

